

## علم لغة النص في ضوء الآية (44) من سورة هود) دراسة نصية تطبيقية)

د. سيد محمد أحمد كُرَيْم  
أستاذ اللغة العربية بجامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية  
جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية  
كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها بجمهورية أوزبكستان

### علم لغة النص الملخص

إن البداية الحقيقية لنشأة علم اللغة النصي كانت من علوم القرآن والبلاغة العربية وذلك لاحتوائهما على القضايا الجوهرية في علم اللغة النصي من مثل: الانسجام، والاتساق، والتماusk، والتكرار، والمناسبة، وغيرها من القضايا الجوهرية في هذا العلم. ويهتم علم اللغة النصي بالنواحي الشكلية للنصوص، بمعنى صحة الجمل من الناحية النحوية.

لقد ظهر مصطلح "علم اللغة النصي" في منتصف القرن العشرين تقريباً، وكان يُعرف بأنه: العلم الذي يبحث في أبنية النصوص وصياغاتها، مع إحاطته بالعلاقات الاتصالية والاجتماعية والنفسية العامة. وهذا العلم ظهر حديثاً عند الغرب، ولكننا وجدناه عند العلماء العرب وذلك أثناء حديثهم عن علوم القرآن والبلاغة العربية منذ القرن الثاني الهجري تقريباً، من أمثال: الجرجاني، والسكاكي، والزرکشي، والسيوطي، والعلوي وغيرهم من علماء التفسير والبلاغة، وعلى الرغم من عدم ورود مصطلحات هذا العلم في كتب البلاغة، فإن مفهومها ظاهر بوضوح، وبذلك يمكننا أن نقول: إن المصطلحات غربية حديثة، ولكن المفاهيم عربية أصيلة.

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ١- ما مفهوم علم لغة النص؟
  - ٢- ما ملامح الاتفاق والاختلاف بين الجملة والنص؟
  - ٣- ما المبادئ العامة الحاكمة للنص وما دور المعايير السبعة لتحقيق الترابط داخل النص؟
  - ٤- كيف يحلل علم لغة النص الآية 44 من سورة هود
- الكلمات المفتاحية: علم - لغة النص - الناطقين - اللسانيات النصية - تحليل الخطاب

**Abstract.** The real beginning of the emergence of textual linguistics was from the sciences of the Qur'an and Arabic rhetoric, because they contain the core issues in textual linguistics, such as: harmony, consistency, coherence, repetition, appropriateness, and other fundamental issues in this science. Textual linguistics is concerned with the formal aspects of texts, meaning the grammatical validity of sentences.

The term "textual linguistics" appeared around the middle of the twentieth century, and it was defined as: the science that investigates the structures and formulations of texts, while surrounding it with general communicative, social and psychological relations. This science appeared recently in the West, but we found it among Arab scholars during their discussion of the sciences of the Qur'an and Arabic rhetoric since almost the second century AH, such as: al-Jurjani, al-Sakaki, al-Zarkashi, al-Suyuti, al-Alawi and other scholars of interpretation and rhetoric, despite the absence of terms This science is in the books of rhetoric, but its concept

*is clearly visible, and thus we can say: The terms are modern Western, but the concepts are authentic Arabic.*

*This research attempts to answer the following questions:*

*1. What is the concept of text linguistics?*

*2. What are the features of agreement and difference between the sentence and the text?*

*3. What are the general principles governing the text and what is the role of the seven criteria to achieve coherence within the text?*

*4. How does the science of the language of the text analyze verse 44 of Surat Hud?*

**Keywords:** science – text language – speakers – textual linguistics – discourse analysis

#### المقدمة:

النص هو الوحدة الأساسية لتحليل اللغوي، فالنص ليس سلسلة من الجمل النحوية كما دأب اللغويون على تصويره، ولكن النص وحدة لغوية فاعلة في عملية الاتصال الإنساني، ولذا تتم معالجة النص بوصفه يشكل سلسلة ذهنية لغوية، تتم في موقف معين، وتأخذ في الاعتبار ما سبقها من عمليات. فعلم لغة النص لا يتوقف عند كلمات النص وتحليلها في مستويات الدرس اللغوي من أصوات وصرف ونحو ودلالة فقط؛ وإنما يحاول التعدي إلى ما وراء النص من عوامل معرفية ونفسية واجتماعية ومن عمليات عقلية يكون النص حصيلة لتفاعلها جميعاً. فعلم لغة النص يأخذ دائماً في اعتباره مكتسبات العلوم الأخرى، التي تهتم بالاتصال الإنساني كعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي وغيرها.

#### علم لغة النص:

تعددت مفاهيم علم لغة النص، وارتكز علم لغة النص على فكرة أنّ النص يُعدّ الموضوع الرئيس في التحليل والوصف اللغوي، فقد أدرك اللغويون أنّ الجملة التي كانت تُعدّ أكبر وحدة لغوية لم تعد كافية لكل وسائل الفهم اللغوي، فالفهم الحق للظاهرة اللسانية يوجب دراسة اللغة دراسة نصّية، من حيث إنّ البحث يبقى محصوراً في أبنية النصوص وصياغتها مع إحاطتها بالعلاقات الاتصالية والاجتماعية والنفسية العامة

والمتمثل في علوم البلاغة يحدّ ثمة علاقة وطيدة بين هذه العلوم، وعلم لغة النصّ، وقد صرّح عدد من الباحثين بأنّ البلاغة هي السابقة التاريخية للسانيات النصّ ومن هؤلاء (فان دايك) إذ يقول: ((إنّ البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النصّ إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجهها العام، المتمثل في وصف النصوص، وتحديد وظائفها المتعددة، ولكننا نؤثر مصطلح علم النصّ، لأنّ كلمة بلاغة ترتبط حالياً بأشكال أسلوبية خاصة، كما ترتبط بوظائف الاتصال العام ووسائل الإقناع))

وكذلك أرجع (ديوجراند) البدايات الأولى للدراسات النصّية إلى العلوم البلاغية التي سادت العصور الكلاسيكية القديمة يشير صلاح فضل إلى أنّ (فان دايك) هو المؤسس لعلم لغة النصّ وعلى ما يبدو أنّ إرهابات هذا العلم بدأت بمحاولة (زليج هاريس) عام (1952م) التي تُعدّ من أهم المحاولات الجادة التي أدت إلى نشأة هذا العلم عندما قدّم منهجاً لتحليل الخطاب سواء أكان منظوقاً أم مكتوباً، استعمل فيه إجراءات اللسانيات الوصفية بهدف اكتشاف بنية النصّ، في دراستين مهمتين تحت عنوان (تحليل الخطاب) بعد أن وضع علم لغة النص لنفسه معايير تأسيسية تميز النص عن غيره من المنظوقات، ومعايير تنظيمية تناقش جودة النص وفاعليته وملاءمته للمهام.

لقد هيمن علم نحو الجملة على الدراسات اللغوية بوجه عام إلى وقت قريب؛ وذلك لعدة أسباب منها خلو الساحة اللغوية من أية بدائل، ولعل نظرية تشومسكي في النحو كانت أقوى ممثل للدفاع عن هذا الاتجاه. إلى أن طرح (ديسلر) و(ديوجراند) وغيرهما البديل

الجديد وهو علم لغة النص، وبذلك أصبح هناك صراع بين علم نحو الجملة وعلم لغة النص حيث شُنت أعنف الحملات في سنة ١٩٧٢ على نحو الجملة باعتباره عاجزا عن تفسير ظواهر عديدة في مختلف المجالات. فعندما كان علم النحو يهتم بالنظم المعرفية والعمليات المعرفية التي تساهم في استغلال الناس للغة وبالسياقات التي تجري فيها، كان علم اللغة بوجه عام يركز على دراسة اللغة بوصفها نتاجا جاهزا، واهتم بالقواعد المجردة وحدها وأسرف في الانغلاق على نفسه ودعا إلى الاستقلال عن العلوم الأخرى سواء في المدرسة البنوية أو المدرسة التوليدية التحليلية.

والنص عند ديوجراند هو مجموعة لغوية ذات معنى، هدفها الاتصال ويضاف إلى ذلك أن يكون هذا النص صادر عن مشارك واحد في إطار زمني معين، وليس من الضروري أن يتكون النص من الجمل وحدها بل من الممكن أن يتكون من جمل، أو كلمات مفردة، أو مجموعات لغوية تحقق أهداف التواصل. فعلم لغة النص يرى في النص نظامًا مركبًا من عدة أنظمة تتفاعل فيما بينها ويتأثر كل نظام فيها بضوابطه الذاتية الخاصة، وبضوابط خارجية من الأنظمة الفرعية الأخرى في علم اللغة.

#### وهناك اختلافات بين الجملة والنص تتمثل فيما يلي:

١- الجملة تنتمي إلى نظام افتراضي (النحو)، في حين يعد النص نظاما واقعيا تكون من خلال عدة اختيارات من النظام الافتراضي.

٢- الجملة لها معيار واحد وهو علم القواعد، أما النص فله معايير معرفية عديدة

٣- الجملة إما أن تكون جملة أولا تكون جملة طبقا لقواعد النحو، أما النص فلا تنطبق عليه المعايير النصية بهذه الحدة.

٤- النص يتأثر بالعوامل النفسية والأعراف الاجتماعية والمواقف التي يقع فيها، في حين أن الجملة لا تتأثر كثيراً بمثل هذه المؤثرات،

فمثلا الجملة ممكن أن تطول بدون حد طبقا لقواعد النحو، أما النص فهناك مؤثرات كثيرة تشكل قيودًا بالغة الأهمية وتشكل اخراجه.

٥- الجملة -في الأساس- تعتمد على قواعد النحو، هذه القواعد لها صفة العمومية، أما النص فيستند إلى معرفة خبرات بوقائع

فعلية خاصة.

٦- النص يعد حدثًا يُقصد منه توجيه المتلقي نحو بناء علاقات متنوعة لا تقتصر على العلاقات القواعدية، وكذلك إلى التأثير في

مواقف بشرية. وهذا بعكس الجملة التي لا تمثل حدثًا، وإنما تستعمل لإبراز العلاقات القواعدية بمعزل عن الزمن.

٧- تتخذ الجملة شكلها المعين وفقا لبارامترات محددة القيم في نظام افتراضي معلوم، في حين تتشكل بنية النص بحسب ضوابط

المشاركين والمتلقين على حد سواء.

#### معايير علم لغة النص:

من الممكن أن يحكم المرء على نص ما، من خلال معايير، وهذه المعايير تعتمد على عوامل أربعة (لغوي ونفسي

واجتماعي وذهنى) ويمكننا أن نحصر المعايير التي لا غنى عنها لتوافر صفة النصية في تشكيلة لغوية فيما يلي:

#### ١- التضام: cohesion

ويشمل كل الوسائل التي تعمل على ترابط النص من مثل: بناء العبارات، والجمل واستعمال الضمائر، وغيرها من الاشكال البديلة.

#### ٢- التقارن: coherence

ويشمل كل الوسائل التي تعمل على إثارة المعرفة، من مفاهيم وعلاقات، سواء علاقات منطقية كالسببية، ومنها أيضا معرفة كيفية

تنظيم الحوادث وتوفير الاستمرارية في الخبرة البشرية.

#### ٣- القصدية: Intentionality

ويقصد بها قصد المؤلف في تحقيق التضام والتقارن في النص، وأن يكون أداة لخطوة موجهة نحو هدف معين.

#### ٤- التقبلية: Acceptability

أي تقبل المتلقي للنص باعتباره متضامًا متقارنًا ذا نفع.

## ٥- الموقفية: **Situationality**

وتشمل العوامل التي تجعل النص ذات صلة بموقف آت أو بموقف قابل للاسترجاع.

## ٦- الإعلامية: **Informatinity**

وتشمل عامل الجدة (اللايقين النسبي لوقائع النص، بالمقارنة مع الوقائع الأخرى المحتملة الحدوث)

## ٧- النصوية: **Intertextuality**

وتتضمن العلاقات بين نص ما، ونصوص أخرى ذات صلة به، ثم التعرف عليها في خبرة سابقة.

وتعد كل هذه المعايير من الأسس التي تعين على اتصاف أي تشكيلة لغوية بصفة النصية، كذلك يوجد معايير تنظيمية

تستعمل لكي تحدد نوعية النص وتقويمه، ومن هذه المعايير:

## ١- الجودة: **Efficiency**

ويقصد بها جودة النص في تحقيق الاتصال، مع تحقيق أكبر مردود وأقل جهد بحيث تتوافر سهولة معالجة النص.

## ٢- الفعالية: **Effectivity**

ويقصد بها شدة وقع النص وتأثيره في المتلقي، بحيث يتوفر عمق المعالجة والإسهام القوي في تحقيق هدف المرسل.

## ٣- الملاءمة: **Appropriateness**

ويقصد بها تناسب مقتضيات الموقف مع درجة انطباق المعايير النصية على النص المدروس.

### عالم النص:

يقوم المتلقي أو المستقبل لأي نص ببناء نموذج للطرف الآخر، وهذا النموذج هو عبارة عن المعادل المعرفي للنص كما يراه الشخص. ويتألف عالم النص من مجموعة من القضايا، **proposition** أي من العلاقات بين مختلف المفاهيم، ولا بد في هذا النموذج من وجود علاقات الاستمرارية التي تتمثل في الربط بين مختلف وقائع النص، وإذا لم تكن إحدى هذه العلاقات واضحة جلية فإن مستقبل النص يكون إزاء مشكلة يجب عليه حلها، فيلجأ إلى أسلوب حل المشكلات وإلى الاستنتاج بوجه خاص لسد الثغرات المختلفة بأنواعها الثلاثة:

- **الفجوات:** ويقصد بها عدم وجود رابطة بين مفهومين.

- **الانقطاعات:** ويقصد بها وجود رابطة بين مفهومين لكنها تحتوي على موقع لا يشغله أي محتوى.

- **المفارقات:** ويقصد بها اختلاف المعرفة التي يقررها عالم النص، عن العلاقة المخزنة لدى الشخص من قبل عن هذا العالم.

وفي كل الأحوال يقوم مستقبل النص بمقارنة عالم النص بما لديه من خبرات معرفية سابقة، ويعتمد في ذلك على التوفيق بين الأنماط التي يخرجها النص والأنماط المخزنة لديه. ويختلف (عالم النص) من شخص إلى آخر وذلك بسبب الاستنتاج والتحديث وعدم التماثل وتوسيع الاستشارة. ويتصف نموذج عالم النص بأنه نموذج احتمالي الطابع، وذلك لأن التواصل البشري يعتمد عادة على وقائع احتمالية، ويتم التغلب على عدم اليقين عن طريق الأدلة المتوفرة.

لقد عرفت الدراسات اللغوية الكلام وقسمته إلى ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف، وبالرغم من سيطرة هذا التقسيم، إلا أنه لم يمنع من ظهور تقسيمات أخرى مختلفة مثل تقسيم عبد القاهر الجرجاني الذي عدّ (النظم) هو الأساس في الجملة وكذلك تمام حسان، فهما الاثنان يستندان إلى عدة معايير، وليس على فكرة الإسناد فقط مثلما دأب النحاة العرب. فتمام حسان يهتم بفكرة التضام بمفهوم خاص، فكل كلمة تستدعي اختها ولا تقف بدونها، ولذلك فتقسيم الكلام عنده ينقسم إلى أقسام: (١) الاسم (٢) الصفة (٣) الفعل (٤) الظرف (٥) الضمير (٦) الأداة: حروف الجر والعطف وغيرها، وكلمات محولة عن أسماء أو أفعال أو ضمائر أو ظروف. (٧) الخالفة: كلمات إفصاحيه مثل أسماء الأفعال، وأسماء الأصوات، وصيغ التعجب والمدح والذم

**علم لغة النص والنقاد والبلاغيون العرب:**

لا يظهر مصطلح ( علم لغة النص ) في الدراسات اللغوية عند القدماء من علماء اللغة العربية، ولكن يمكننا القول إن هناك إسهامات قيمة ومهمة تلتقي مع ما يقدمه المحدثون الغربيون بهذا الشأن، والدليل على ذلك نظرية عبد القاهر الجرجاني التي تعرف (بنظرية النظم) وكذلك الدراسات التطبيقية الواسعة لإعادة الصياغة عند (ابن الأثير) وأيضاً التأكيد على أهمية الموقف الكلامي عند (الجاحظ)، ولعل أقرب ما يكون إلى علم لغة النص عند القدماء هي النظرة التي نجدها عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز فيما يعرف بنظرية النظم، والتي تدور حول معيار التضام، ويبدو ذلك من تعريف عبد القاهر للنظم بقوله: " معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض... فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبراً عنه أو حالاً منه أو تابعاً له صفة أو تأكيداً " ويقول في موضع آخر: "ليس "النظم" شيئاً إلاّ توخّي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بيّن معاني الكلم"

ويمكننا القول إن عبد القاهر كان يعي جيداً التبعيات القواعدية من حيث علاقتها بالمفاهيم فهو لم يكن مهتماً بدراسة معاني الكلمات المفردة في ذاتها وإنما صرف اهتمامه إلى دراسة العلاقات المتصلة بالمفاهيم بين تلك الكلمات وبالرغم من هذا كله لم يفرد عبد القاهر نظاماً خاصاً بعلاقات المفاهيم، بل اكتفى بفعل بشرحها من خلال التبعيات القواعدية، ولعل الذي دفعه إلى ذلك هو تشعب أبواب النحو العربي وتداخلها مع التقسيمات الاحتمالية للمفاهيم.

**التضام:** استخدم عبد القاهر مصطلح التضام في كتابه في عدة مواضع فيقول " إن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات، وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة، وقولهم (بالضم) لا يصح أن يراد به النطق باللفظة بعد اللفظة من غير اتصال يكون بين معانيهما لأنه لو جاز أن يكون مجرد ضم اللفظ إلى اللفظ تأثير في الفصاحة لكان ينبغي إذا قيل (ضحك خرج) أي يحدث من ضمن (خرج) إلى (ضحك) فصاحة ، وإذا بطل ذلك لم يبق إلا أن يكون المعنى في ضم الكلمة إلى الكلمة توخي معنى من معان النحو فيما بينهما، وقولهم على طريقة مخصوصة يوجب ذلك أيضاً، وذلك لأنه لا يكون للطريقة إذا انت اردت مجرد اللفظ معنى "

لم يقتصر الأمر على ذلك بل خصص عبد القاهر في كتابه أبواباً كاملة لمقومات التضام من مثل: الحذف والاضمار والتعريف والتذكير والتقديم والتأخير والفصل والوصل. وله أيضاً الملاحظات القيمة حول قضايا متعلقة بعلم لغة النص وإن كانت لم ترد صراحة من مثل: الإعلامية وعالم النص والمعرفة بالعالم وإعادة الصياغة.. الخ

**التقارن:** تنقسم الدراسات اللغوية المتصلة بالتقارن عند القدماء من علماء العربية إلى قسمين:

أولاً: قسم يتعلق علم النحو

وفيه يوجد بعض الأبواب التي لا تقتصر على الأسس النحوية فقط وإنما يوجد بعض الأبواب التي تعتمد على أنواع المفاهيم المختلفة مثل التمييز والإضافة والحال والاستثناء والعدد وغيرها.

ثانياً: قسم يتعلق بالبلاغة

وفيه يوجد الكثير من الأبواب التي تعتمد على التقسيمات البالغة التفصيل للعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فمن علاقات المجاز المفرد نجد: التضاد والسببية والكلية والجزئية.

وقد جمع عبد القاهر الجرجاني بين الجانبين السابقين في نظريته عن النظم وأطلق على المعاني المستخدمة في دراساته اسم "المعاني النحوية"

وقبل عبد القاهر وجدنا الجاحظ يستعمل مصطلحاً قريب من مصطلح التقارن وهو (القران) والذي يعني أن البيت يشد البيت في قصيدة الشاعر عن طريق المعنى أو الموقف الذي يعبر الشاعر عنه وهو أوسع من (مراعاة النظر) الذي يقوم على حسن المجاورة بين المعاني المتناسبة في البيت

**الإعلامية:** وكذلك الإعلامية وأهميتها نجدها موزعة فيما كتبه علماء النقد والبلاغة العرب ومنها مثلاً فكرة (الغربة) عند حازم القرطاجني في منهاج البلغاء حيث نراه ويقول: " وكلما اقترنت الغربة والتعجيب كان أبداع... والتعجيب يكون باستبداع ما يثيره الشاعر من

لطائف الكلام التي يقل التهدي إلى مثلها. فورودها مستندر ومستطرف لذلك: كالتهدي إلى ما يقل التهدي إليه من سبب للشئ تخفي سببته أو غاية له، أو شاهد عليه، أو شبيه له، أو معاند، كالجمع بين مفترقين من جهة لطيفة قد انتسب بها أحدهما إلى الآخر، وغير ذلك من الوجوه التي من شأن النفس أن تستغرها".

ونراه يقول في موضع آخر: "ووجوه الاغماض في المعاني: منها ما يرجع إلى المعاني أنفسها، ومنها ما يرجع إلى الألفاظ والعبارات المدلول بها على المعنى، ومنها ما يرجع إلى المعاني والألفاظ معا". ويقول عبد القاهر: "وذلك أن في البيان إذا ورد بعد الإهام وبعد التحريك له ابدا لظفا ونبالا"، بل أننا نجد عند ابن الأثير تطبيقا شاملا لما نسماه خفض المنزلة الإعلامية بجوانبه الثلاثة: الأمامي والخلفي والخارجي **الموقفية**: وكما وجدنا الإعلامية موزعة فيما كتبه علماء النقد والبلاغة العرب، نجد الموقفية وأهميتها لديهم في الشعارات التي لا يكاد يخلو منها أي كتاب بلاغي، والتي تُظهر أهمية الموقف من مثل: (لكل مقام مقال) و (مراعاة مقتضى الحال)، فمثلا نجد الجاحظ يصير على ذلك في صحيفة بشر بن المعتد في قوله: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات" وقد وصل الأمر بعلماء البلاغة العرب إلى أبعد من ذلك فقد ذكروا أن لكل لي كلمة صاحبها مقاما.

**القصدية والتبعية**: وتمتد الدراسات لتشمل القصدية والتبعية، ففي مؤلفات الجاحظ كالبیان والتبيين، والحيوان يجد الباحث مادة وفيرة في الدراسات المتعلقة بالقصدية والتبعية، وفي الحقيقة يمكن القول إن البيان العربي بأسره قد اتبع أسلوب الجاحظ لفترة طويلة من الزمن، ذلك الأسلوب الذي يهتم به بتشويق القارئ والانتقال به من موضوع إلى آخر خشية الإملال كما يهتم بالإكثار من الطرائف والنوادر على حساب المادة الرئيسة المقولة له، ويقدم الراغب الاصفهاني التعريف التالي للبلاغة "... أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له، وهو أن يقصد القائل أمرا فيورده على وجه حقيق أن يقبله المقول له"، ويبدو أن هذا ما التفت إليه أصحاب القصيدة العربية الكلاسيكية الذين كانوا يستهلون قصائدهم بالغزل والنسيب لتشويق المستقبل أو المتلقي وجعله يتقبل القصيدة. وكذلك يمكننا أن نفهم لماذا ألح علماء البلاغة على إدخال موضوع (الاحتراز مما يثير التطير) في أبواب علم البلاغة وكذلك موقف النقاد تجاه أبي تمام الذي يمكن تلخيصه في الرواية المشهورة التي "قال له رجل، يا أبا تمام لما لا تقول من الشعر ما (يفهم) فقال: وأنت لما لا تفهم من الشعر ما يقال.

**النصوصية**: لقد شغلت النصوصية اهتمام الدراسات النقدية والبلاغية العربية ومن هذه الدراسات موضوع السرقات الشعرية، والاقتباس والتضمين، وحل المنظوم.

١- نجد ذلك ظاهرا بوضوح في القرن الرابع الهجري حيث ظهر موضوع السرقات في شتى الكتب البلاغية والنقدية كما في (الموازنة) للآمدي و(الرسالة الحاتمية) و(المنصف) لابن وكيع و(الإبانة) للعميدي حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من الدراسات البلاغية كما في (التلخيص) للقزويني وغيره

٢- أما بالنسبة للاقتباس والتضمين فهو أحد أبواب البلاغة عند العرب، وهم يقصدون بالاقتباس - في الغالب - ما يأخذه الكاتب من نصوص القرآن الكريم والحديث وكذلك التضمين يقصدون به الأخذ من نصوص الآخرين بوجه عام.

٣- أما حل المنظوم والذي يقترب في مفهومه من مفهوم إعادة الصياغة، فهو الأسلوب الأساس الذي وجدناه عند ابن الأثير في التأليف، فقد أعدده الوسيلة الصحيحة لكتابة الإنشاء.

وهذا المذهب وجدناه عند ابن خلدون الذي كان يصير على حفظ النماذج الشعرية لكي يصبح الشاعر شاعرا عندما يقول: "وربما كان من الخير له لو زالت من ذهنه المحفوظات وبقيت رسومها فإنه عندئذ يكون أكثر اعتمادا على نفسه فقط اجتلاب التراكيب" حاولنا فيما سبق أن نُعرّف المبادئ والاتجاهات والغايات التي يتصف بها علم لغة النص كما شرحه (دريسler) و(ديوجراند) في كتابهما (مدخل إلى علم لغة النص) وبيننا أكثر من صيغة لتقسيم الكلام في اللغة العربية، ثم اتبعناها بإسهامات قيمة للقدماء من علماء اللغة العرب في مجالات ذات صلة بعلم لغة النص.

والآن نحاول تطبيق علم لغة النص بمختلف جوانبه على نص عربي من القرآن الكريم هو الآية 44 من سورة هود.

## تحليل نص من القرآن الكريم

نحاول في الصفحات التالية أن نحل نص من طراز مختلف وهو الآية الكريمة رقم 44 من سورة هود وهي:

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَبَسْمَاءَ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى  
الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

وربما كان من الأفضل معالجة النص الكامل لقصة الطوفان في سورة هود (الآيات: 25-48) غير إن المقام لا يتسع لذلك، ولذا

اقتصرنّا على معالجة هذا الجزء من النص.

### الدراسات السابقة للنص:

لقد شغل هذا النص كبار علماء البلاغة في مختلف العصور ومنهم:

١- عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) في كتابه دلائل الإعجاز.

٢- السكاكي (ت 626 هـ) في كتابه مفتاح علوم البلاغة.

٣- القزويني (ت 729 هـ) في كتابه الإيضاح.

٤- العلوي (ت 749 هـ) في كتابه الطراز.

٥- الألوسي (ت 1270 هـ) في كتابه روح المعاني.

بل ان بعض المهتمين بهذا النص قد أفردوه بمصنفات خاصة، فقد قد أفرد العلوي هذا النص بالدراسة في أكثر من خمسة عشرة صفحة، وكنا نود عرض هذه الدراسة ولكن المقام لا يتسع لذلك، فاكتمى البحث بعالم واحد فقط وهو عبد القاهر الجرجاني الذي يقول: "وهل تشكُّ إذا فُكِّرَتْ في قوله تعالى {وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [هود: 44]، فتجلى لك منها الإعجاز، ويحرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لما يرجع إلى ارتباط هذه الكلم ببعضها ببعض، وأن لم يعرض لها الحُسن والشرف إلا من حيث لاقَتْ الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا، إلى أن تستقرَّها إلى آخرها وأنَّ الفضلَ تَنَاطَحَ ما بينها، وحصل من مجموعها؟ إن شككت، فتأمل: هل ترى لفظة منها بحيث لو أُخِذَتْ من بين أخواتها وأفردت، لأدَّت من الفصاحة ما تُؤدِّيه وهي في مكانها من الآية؟ قل: "ابلعي"، واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن تُوديت الأرض، ثم أُمِرَتْ، ثم في أن كان النداء "بيا" دُونَ "أي"، نحو "يا أيُّها الأرض"، ثم إضافة "الماء" إلى "الكاف"، دون أن يقال: "ابلعي ماءك"، ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك، بما يخصُّها، ثم أن قيل: {وَوُضِيَ الْمَاءُ}، فجاء الفعل على صيغة "فعل" الدالة على أنه لم يَغُضْ إلا بأمرٍ وقُدْرَةٍ قادرٍ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: {وَوُضِيَ الْمَاءُ}، ثم ذكر ما هو فائدته هذه الأمور، وهو: {استوت على الجودي}، ثم إضمار "السفينة" قبل الذكر، كما هو شرطُ الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة "بقيل" في الفاتحة؟ أفترى لشيءٍ من هذه الخصائص التي تملوك بالإعجاز روعةً، وتحضرك عند تصوُّرها هيئةً تُحيطُ بالنفس من أقطارها تعلُّقاً باللفظ من حيث هو صوتٌ مسموعٌ وحروفٌ تتوالى في النطق؟ أم كلُّ ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتِّساق العجيب؟"

### منزلة النص عند القدماء:

الإعجاز في القرآن الكريم مراتب، بالرغم من أنه معجز بجميع آياته فإن هذه الآية قد بلغت أعلى مراتب الإعجاز، وهناك الكثير من النصوص تؤكد ذلك: "لما أرادت قريش معارضة القرآن عكف فصحاؤهم الذين تعاطوا ذلك على لباب البر وسلاف الحمر ولحوم الضأن والخلوة إلى أن بلغوا مجهودهم، فلما سمعوا قول الله عز وجل وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) يتسوا مما جمعوا فيه وعلموا أنه ليس بكلام مخلوق.

وروي أيضا: "أن ابن المقفع - وكان - كما في القاموس فصيحا بليغا - بل أفصح أهل وقته رام أن يعارض القرآن فنظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا، فاجتاز يوما بصبي يقرأها (الآية المذكورة) في مكتب فرجع ومحا ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض أبدا وما هو من كلام البشر." ، وذكر الألوسي أن الشيخ علاء الدين جمع في هذه الآية ما ظهر له من مزايا فبلغ ذلك 150 مزية

سوف يتم تقسيم النص إلى ستة أقسام من أجل تسهيل الدراسة

|                                              |
|----------------------------------------------|
| وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ (١)      |
| وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي (٢)                  |
| وَعِيشِ الْمَاءُ (٣)                         |
| وَقُضِيَ الْأَمْرُ (٤)                       |
| وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ (٥)            |
| وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦) |

بداية نلاحظ أنه قواعد التنظيم الذاتي للنص متحققة جميعها وهي الجودة والفعالية والملاءمة

١- الجودة متحققة نظرا لما يتمتع به النص بالنص من يسر في المعالجة، ففي النص الكثير من التقنيات التي تعمل على تحقيق

ذلك، ومنها:

(أ) الموازنة بين الجمل: (يا أرض ابلي (1) - ويا سماء أقلعي (2) / غيض الماء (3) - وقضى الأمر (4))

(ب) التكرار: في تكرار بعض الأنماط النحوية مثل: الموازنة السابقة، وكذلك تكرار بعض الأنماط الصرفية من مثل تكرار صيغة

(المبني للمجهول) قبل (1) في البداية وقبل (6) في النهاية، والجناس الصوتي (ابلي (1) - أقلعي (2))

(ج) قصر المنطوقات: فالنص عبارة عن منطوقات قصيرة مما يجعل من السهل حفظها وتخزينها في ذاكرة المتلقي.

(د) التعريف والتذكير: تعريف كلمة (الماء) بإضافتها إلى الكاف في (1) وكذلك تعريفها بأل في كلمة (الماء) (3) وبذلك يكون

من السهل نقل المحتوى من خلال المعرفة المثارة في الجملة الأولى، وتعريف كلمة الأمر (4) يعود على اسم سابق في آيات سابقة (40)،

42 وتعريف (القوم) (6) بتخصيصها بالظالمين (6) أما التذكير المقصود في النداء (يا أرض) و(يا سماء) والذي تشير إليه علامة الضم يقوم

بوظيفتين أساسيتين: الأولى: تقليل زمن الأمر إلى المكلفين بدلا من أن يكون طويلا بقولنا (يا أيتها الأرض) و (يا أيتها السماء) مثلا،

والثانية: التصغير من منزلة المخاطبين.

(هـ) الاشكال البديلة:

- تعود الضمائر في (ابلي) و (أقلعي) إلى أسماء بالغة القرب منها ولذا نجد أنها تسهم في يسر المعالجة. - أما علامة التأنيث وهي

التاء في استوت تساعد على التعرف على المسند إليه ويقصد به الفلك أو السفينة ورغم ورود الفعل بعد فاصل كبير عن المسند إليه مما يسبب

إشكالية مؤقتة في فهم النص، غير أن المستقبل يحل هذه الإشكالية بخفض المنزل الخلفي.

- كما ينطوي النص أيضا على الاضمار في الفعل أقلعي وتحل إشكالية الاضمار هنا بالاعتماد على توسيع الاستثارة والاستنتاج

في ضوء المعطيات السابقة في (يا أرض ابلي ماءك) وقصة الطوفان في الآيات السابقة لهذه الآية، وكذلك من خلال معرفتنا القبلية بالعالم،

فالسما سوف تقلع عن إنزال المطر كما يحدث في واقع التجربة البشرية المعروفة

كل هذه التقنيات السابقة وغيرها من وسائل التضام تساعد جميعا على تفرغ ذهن المتلقي من مهام المعالجة النحوية وتوجيه نشاطه

الذهني إلى إدراك العلاقات والمفاهيم.

## ٢- الفعالية:

ويقصد بها شدة التأثير في المتلقي، وقد تمثل في عمق المعالجة من خلال المنطوقات الإشكالية العالية من مثل المبني للمجهول في (قيل) ١ و (قيل) ٦ و (قضى) ٤ وإعلاء المنزلة الإعلامية في (الأمر) ٤ وفي البحث عن الفاعل في (استوت) ٥ وتم خفض المنزلة الإعلامية في الحالتين الأخيرتين من خلال النصوصية.

## ٣- الملازمة:

وهذا متحقق أيضا لأن النص متضام من الأساس ومتقارن ومتوجه ضمن خطة إلى هدف محدد على النحو الذي تتصف به النصوص القرآنية.

## التضام:

ذكرنا في البند السابق عدد من التقنيات في محك الجودة التي يتحقق بها تضام النص فلو نظرنا إلى تحليل قوله تعالى: (وقيل يا أرض ابلي ماءك) (1) نجد في البداية كلمة (قيل) التي يتوقع بعدها - كأفضلية - حرف جر (جزءا من عبارة جر) وذلك من أجل تحديد الشخص الذي يوجه إليه الحديث أي: المخاطب، كأن يكون (لنوح مثلا) غير أن هذا التوقع لا يتحقق عمليا، وإنما يجد المتلقي نفسه أمام أداة النداء (يا) وهنا يتوقع بداية عبارة اسمية - كأفضلية - بالقياس إلى توقعات أخرى مثل (أيتها) و (أيتها) ويجد ذلك بالفعل في كلمة (أرض) المضمومة المنكرة فيتوقع استقبال فعل أمر يجده في (ابلي) ثم يتوقع اسما آخر يجده في الاسم (ماء) وعندئذ يتوقع اسما تاليا يضاف إليه (ماء) ولكنه يجد الضمير (ك) بدلا منه.

ويتضح مما سبق أن نسبة التوقعات غير المتحققة ليست كبيرة، مما يشير إلى تحقق سهولة المعالجة النحوية في النص، وهذا ما وجدناه في تحقق التوقعات بشأن العوامل الخمسة المذكورة في محك الجودة، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على توافر معيار التضام في هذا النص.

## التقارن:

ذكرنا فيما سبق أنه (نموذج عالم النص) هو المعادل المعرفي لما يثيره النص من معرفة في ذهن المتلقي، وهذا المعادل المعرفي يتكون من مفاهيم وعلاقات هي التي تربط بين تلك المفاهيم أو ما يسمى (بالفراغ المعرفي) ويظهر المعادل المعرفي للعالم في النص الذي نحن بصددده وهو يشمل بعض العناصر المذكورة في التحليل، بل على العكس وجدنا عناصر إضافية ظهرت نتيجة الاستشارة الموسعة من مثل (قادر) - (سطح) وغيرهما وهو يشمل أيضا عناصر مبدلة من بعض العناصر المذكورة في التحليل السابق ومنها (أمر) بدلا من (قول) و (اختفاء) بدلا من (غيض) وذلك بحسب تصوراتنا لمعرفة متلقي النص المعاصر. ومن ناحية أخرى يوضح التحليل طبيعة العلاقة القائمة بين المفاهيم وذلك بحسب معرفة المتلقي للنص بالعالم وهذه العلاقات نوعان: علاقات نمطية: وهي منتشرة بكثرة، وعلاقات تعيينية: ويلاحظ أنه جميع العقد في النص متصلة بعقدة (أمر) أو (قول) في الشبكة النحوية وهذا يدل على أن هذه العقدة تمثل مركز التحكم في الشبكة

## القصدية والتقبلية:

يهدف النص بشكل أساسي إلى تبليغ رسالة إلى جمهور المتلقين من قريش وغيرها ولذا اتخذ شكلا قصصيا مبنيا على رصد موقف معين - في الظاهر - أما الهدف النهائي له فهو تهديد الكافرين. وفضلا عما يتصف به النص من تضام وتقارن نجد أن مبادئ علم لغة النص التي وضعها (غرايس) متحققة فيه، فعباراته بالغة القصر، ومع ذلك واضحة، وأيضا تتوفر فيه الإعلامية وربطها بالهدف المقصود. فمثلا:

- استعمال صيغة المبني للمجهول في (قيل)

يقوم المتلقي بنفسه بالمشاركة في إيجاد الفاعل، وكذلك تمثيل تصور تقبل الأرض والسماء له، وهذا جزء من الخطة التي يريدتها النص وهي تهديد قريش، واتضح ذلك في قصر الأوامر الموجهة كلها وتتابعها على نحو منطقي متسلسل وسريع يفيد تحققها واحد تلو الآخر.

#### – استعمال الماء استعمالاً خاصاً

نلاحظ أن النص يستعمل الماء استعمالاً خاصاً وذلك ضمن الخطّة، فالماء المهم جداً للقرشيين الذين يعيشون في الصحراء يمكن أن يكون هو السبب في هلاكهم إذا رفضوا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وتعود تقبيلة النص لدى المتلقي إلى:

– توافر معياري التضام والتقارن فيه، فبالرغم من وجود بعض الحالات الإشكالية من مثل البناء للمجهول في (قيل) فإنه لا يصعب على المتلقي تعيين الفاعل، وذلك لأن النص من القرآن الكريم والآيات السابقة على هذه الآية فيها الكثير من الأوامر الإلهية بعضها مبني للمجهول مثل (وأوحى) في هود 26، وكذلك فإن الموجه لهم الخطاب (الأرض والسماء) جمادان، فلا يتصور أحد ألا يوجد أحد غير الله يستطيع أن يوجه الأمر إلى الأرض والسماء

– سهولة تعبئة الفراغ الذهني المتكون من الكلمة (الأمر)، هذه الكلمة العامة (الأمر) يستطيع المتلقي أن يعبئ الفراغ الذهني الناتج عن الكلمة العامة (أمر) وذلك بالاعتماد على النص السابق لهذا النص وذلك عندما يستبعد أن التكرار لابد أن يكون له فائدة لتعبير (وغيض الماء) وهو ويربط بدلاً من ذلك بين عقدة (الأمر) هذه وعقدة (أمرنا) في النص السابق.

– الرجوع إلى النص السابق لحل فجوة التضام في (استوت)، فالمتلقي في حاجة لمعرفة المسند إليه في (استوت) ولذلك فهو يعود إلى النص السابق لكي يحل هذه الإشكالية المتمثلة في غياب (الفلك) والضامات المتعلقة بها.

#### الموقفية:

يظهر في هذا النص موقفين مختلفين: – **الموقف الأول:** حادثة الطوفان وذلك يتضح من حوادث النص نفسه ويتميز هذا الموقف بفقدان الرصد ولا توجد مفاوضات لتحقيق الأهداف، فالموقف يهيمن تماماً، ويرجع ذلك إلى طبيعة الموقف الذي هدفه هو التهديد، ولذلك وجدنا الأرض والسماء مجرد أداتين طبيعتين لتحقيق الهدف في النص، في حين أننا نجد أن السماء والأرض في بعض النصوص يمكن أن تأتي وتشارك في النص كما في الآية (أن عرضنا الأمانة على السماوات والأرض فأبين) (الأحزاب ٧٢). **الموقف الثاني:** يظهر في الحدث الموجه إلى هدف معين وهو توجيه القرشيين إلى قناعة محددة وهي الإيمان، ويتميز هذا الموقف بأنه يصور مرحلة من مراحل المفاوضات مع القرشيين وهي مرحلة التهديد التي تولف جزءاً من إدارة الموقف المهادف إلى إقناعهم بالإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، غير أن هذه الإدارة تختفي في هيئة رصد موقف هو وصف حادثة الطوفان التي هلك فيها كفار قوم نوح. وللموقفية تأثير كبير في طريقة إخراج النص في تضامه وتعارنه معاً، فبعد أن لحق الاضطراب بكل شيء في الأرض بسبب الطوفان يقتضي الأمر أن يكون الخطاب على هيئة جمل قصيرة متلاحقة سريعة لتحقيق الحسم في الأحداث، وهو ما نجده متحققاً بالفعل في النص الذي نحن بصددده.

#### – النصوصية:

يتضح من معالجة النص السابقة أن النص الذي قبله مهم جداً؛ وذلك لأنه يساعد على تحديد بعض المفاهيم والعلاقات الواردة فيه وهذه إحدى حالات النصوصية، فلن يتم فهم النص الذي نحن بصددده إلا بالرجوع إلى النص السابق عليه.

من الواضح أن هذا النص بمجرد أن يقرأه المتلقي يتعرف عليه أنه نص قرآني وذلك بسبب الخصائص التي يشترك فيها مع كثير من نصوص القرآن الكريم ومن ذلك: الموازنة بين العبارات، وختم النص بالفاصلة القرآنية وهي (النون الساكنة المسبوقة بحرف المد الياء)، والإيقاع الذي يتميز به القرآن، والتكرار، والتكرار الجزئي. والاشتراك مع نصوص قرآنية أخرى في التعبيرات المستعملة من مثل: (قيل) وردت 49 مرة في آيات القرآن، و(قضي الأمر) وردت ثلاث مرات، و(القوم الظالمين) حوالي 20 مرة، و(استوى) بالمعنى الوارد في الآية وردت 16 مرة، و(أرض وسماء) عدد كبير من المرات.

وتتجلى النصوية بوضوح -أيضاً- في النصوية المماثلة لحادثة الطوفان فقد وردت بعض النصوص المماثلة التي تتحدث عن هذه الحادثة من مثل: سورة القمر، وسورة نوح وغيرها، هذا فضلاً عن الاشتراك في بعض التعبيرات المتناظرة كما وردت في سورة القمر (12- 11- 13)

|                       |                                  |
|-----------------------|----------------------------------|
| يا أرض ابلعي ماءك     | وفجرنا الأرض عيوناً              |
| ويا سماء أقلعي        | وفتحنا أبواب السماء بماء المنهمر |
| وغيض الماء وقضي الأمر | فالتقى الماء وعلى أمرٍ قد قدر    |

كما أن هذه الحادثة تستثير بعض الأصول القديمة والأدبيات الحديثة في ذهن المتلقي من مثل: نصوص التوراة، وملحمة جلجيميش وكتابات أفلاطون التي تتحدث عن قصة الطوفان، ويشترك هذا النص - باعتباره نصاً قصصياً- مع غيره من النصوص القصصية في تكوينه من تتابع الحوادث والحالات.

### الإعلامية

لو نظرنا سريعاً إلى هذا النص لوجدنا الكثير من الدلالات، وذلك لأن كتابته تستثير الشكل الخاص للآيات القرآنية في ذهن المتلقي، كما أن قصر الجمل الواردة في النص والتشابه في بنيتها يتيح قراءتها مقترنة بتخزين نشط في الذاكرة لفترة زمنية معقولة. فالنص يبدأ بحرف العطف (الواو) الذي يربط بينه وبين النص الذي يسبقه المنتهي بإغراق الكافرين، ويتوقع المتلقي أن يأتي بعد ذلك (فعل) نظراً لطبيعة التراكيب الواردة في نهاية النص السابق آية 43، فعندما ينتقل يجد هذا (الفعل) ولكنه يتخذ صيغة المبني للمجهول الذي يتكرر بنسبة ضئيلة في اللغة العربية فيحدث هذا الفعل المبني للمجهول فجوة تُفقد النص استمراريته لفقدان عقدة الفاعل مما يضطر المتلقي للبحث عنه، وبذلك تكون لدينا إعلامية من الدرجة الثالثة، في حين أن المتلقي يفضل الإعلامية من الدرجة الثانية ولذلك نجده يخفض المنزلة الإعلامية (في قيل) ليسد فجوة الفعل فيخفف المنزلة إلى الأمام ويتابع قراءة النص، فما يلبث أن يجد نفسه أمام حالة جديدة من الإعلامية المرتفعة أيضاً وهي مخاطبة الأرض في عبارة (يا أرض) ولكي يحل المشكلة الجديدة نجده يخفض المنزلة إلى الخلف لكي يسترجع ما يمتلكه في ذاكرة التخزين النشط من معلومات بحسب النصوص السابقة فيجد (الله) و (نوح) و (ابن نوح)، ويجد أيضاً (حتى) إذا جاء أمرنا وفار التنور) التي تعني أن الله قد أمر الأرض بالفوران، ويشير هذا إلى أن صاحب القول في النص يمكن مطابقته مع صاحب الأمر أو القول نفسه في النص السابق وهو (الله) -عز وجل- وبهذا يتم حل المشكلتين معاً وهما مشكلة التعرف على القائل في الفعل (قيل) ومشكلة التعرف على القائم بمخاطبة الأرض في التعبير (يا أرض). والنصوية من الوسائل التي تساعد على حل هذه المشكلة وذلك لأن أسلوب الالتفات من الأساليب البلاغية الشائعة الاستعمال في القرآن الكريم.

ومن الجدير بالذكر أن علماء البلاغة العرب قد حلوا هذه المشكلة من خلال منظور معرفة متلقي النص بالعالم وذلك إن توجيه الخطاب من قوة ما إلى الأرض بصيغة التنكير (يا أرض) يدل على أن هذه القوة أعلى شأنًا من الأرض، وما دامت هذه القوة أعلى شأنًا، فهي تفكر ويدلنا على ذلك الفعل (قيل) وما دامت هذه القوة تفكر فهي قوة قاهرة مفكرة يجب أن تكون هي الله تعالى وليس سواه.

ولو كان النص قد عرض بذكر الفاعل مثل قولنا: (وقال الله: يا أرض) لما كانت الإعلامية مرتفعة كما حدث هنا، وذلك لأن هذا الخيار له احتمالية الوقوع ضمن السياق، فالفاعل (الله) هو الذي كان يسير حركة الأرض في النص السابق، غير أن النص أثر استخدام صيغة بديلة هي صيغة المبني للمجهول ذات الاحتمال الضئيل في الوقوع مما رفع درجة الإعلامية. كما نجد الإعلامية من الدرجة الثانية في قوله (يا سماء أقلعي) (2) لتكرار المخاطبة والأمر كما ورد في (يا أرض ابلعي ماءك) (1) وتحافظ الإعلامية على مستوى الدرجة الثانية في صيغة المبني للمجهول (وغيض) أما في (قضي) (4) يجد المتلقي نفسه تجاه إعلامية من الدرجة الثالثة بسبب البحث عن (الفاعل) وكلمة (الأمر) التي تحتاج إلى قدر كبير من معالجة المتلقي باسترجاع ما يملكه من ذاكرة التخزين النشط الذي يجده من خلال أمرين: الأول: يسترجعه من النص السابق (جاء أمرنا) والثاني هو (الأمر) في الفعلين (أبلعي، وأقلعي) وبما أن المتلقي يفهم من عبارة (وغيض الماء) أن الأمر قد تم

تنفيذه وبالتالي فهو يستبعد أن يتكرر الأمر مرة أخرى، ويفهم أن الأمر هنا يدل على الحادث بأكمله وهو حادث الطوفان، ويؤكد هذا الفهم أن الصبغتين (أمرنا) و(الأمر) مشتقتان من جذر لغوي واحد وهو (أمر) وهذا الفهم أيضا يتأكد من خلال النصوصية وذلك لأن عبارة (قضي الأمر) تستعمل في آيات كثيرة في القرآن الكريم لتدل على نفس المعنى العام.

-وفي (استوت على الجودي) (5) يفاجأ المتلقي أن النهاية التي اطمأن إلى بلوغها في (قضي الأمر) لم تتحقق، فهو يواجه منطوقا مبتدئا بحرف الواو ويشير إلى استمرار حوادث النص فيستمر في قراءة النص ليجد الفعل (استوت) الذي يرفع الإعلامية. وتزداد ارتفاعا بوجود فجوة مصاحبة للفعل (استوت) تتمثل في غياب الفاعل وهنا يجد المتلقي نفسه مضطرا للرجوع إلى النص السابق أيضا لتعبئة هذه الفجوة وبذلك يخفض منزلة الإعلامية إلى الخلف ويعتمد على تكرار الشكل البديل المتمثل في الضمائر (هي وها) في النص السابق كما في (مرساها) حيث يدعم المضمون الدلالي المشترك (لمرساها. و (استوت) انهما بشيران إلى نفس الكيان المادي المتحرك وهو السفينة أو الفلك. -وفي (وقيل بعدا للقوم الظالمين) (6) نجد صيغة المبني للمجهول (قيل) ويتجه ذهني المتلقي إلى حل هذه الإشكالية بالاعتماد على الفاعل في (وقيل يا أرض ابلعي) (1) أي الله عز وجل ولكنه يجد نفسه محتارا بسبب وجود السفينة ومن فيها من ذاكرة التخزين النشط عنده، فيميل إلى اعتبار أن الفاعل هو فاعل القول وهو (ركاب السفينة) ويتجه إلى خفض المنزلة إلى الأمام فتأتي كلمة (بعدا) التي تستعمل للدعاء، وهذا ما يؤكد أن الفاعل هو ركاب السفينة وليس الذات الإلهية فليس من المألوف أن يصدر الدعاء عن الذات الإلهية ولكنه يصدر عن كيانات بشرية، فإن المتلقي يرجع اعتبار الفاعل في (قيل) إلى ركاب السفينة ويعزز هذا الفهم

#### الخاتمة:

أظهرت الدراسات النصية عند الغربيين عدد من المعايير النصية تكون هي الأساس الذي من خلاله يمكن الحكم على أي نص من النصوص، ولقد حاول هذا البحث دراسة تلك المعايير، ثم النظر في التراث النقدي البلاغي عند العرب للبحث عم إذا كانت له جذور معرفية لها. وقد انتهى البحث إلى عدد من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- يدعو علم لغة النص إلى أهمية تجاوز حدود الجملة في التحليل اللغوي، ولا شك أن هذه الدعوة صحيحة، ولكن هذا لا يعني أن نحو الجملة قد عفا عليه الزمن ولم يعد له أهمية — بحسب ما يراه بعض المحدثين، وذلك لأن علم لغة النص نفسه لا يهمل الجملة، بل يعتمد عليها من خلال علاقاتها بالجملة الأخرى التي يتكون منها النص، فضلا عن علاقاتها بالسياق الذي أنتجت فيه.

2- كان لعلماء العربية القدامى ممارسات نصية، لم يسبقهم إليها أحد، خاصة مع كتاب الله المعجز (القرآن الكريم). فقد كانت لهم ممارسات نصية افرزت الكثير من الملاحظات والآراء التي تدور فلك الدراسات النصية المعاصرة، وتظهر هنا الممارستان اللتان قام بهما الجرجاني والعلوي، فقد ارتفعت هاتان المحاولتان إلى مستوى الممارسة النصية أي التعامل مع النصوص. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على خطأ بعض المحدثين الذين عدوا البلاغة العربية القديمة نظاما قديما معطلا لا يرقى إلى مستوى الممارسة النصية التي تتمثل مع نص كامل.

3- أوصى النقاد والبلاغيون القدماء منتج النص بأهمية مراعاة حسن التأليف أو جودة التركيب التي لا تتحقق إلا من خلال اتباع قواعد النحو وأحكامه، وهذا ما كان واضحا — فيما بعد — فيما يعرف بنظرية النظم التي عُدت أساس الدرس النحوي، وقد تخطي فيها عبد القاهر دراسة العلاقات والظواهر التي تربط بين أجزاء الجملة إلى دراسة الظواهر النحوية التي تربط بين جمل النص وأجزائه؛ ومنها التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والوصل والفصل، والإحالة، فضلا عن الربط بأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، فقد عدت هذه الظواهر النحوية وسائل تحقق حسن النظم في الكلام؛ شعرا كان أم نثرا.

4- كان لدى علماء التراث النقدي والبلاغي نظرة نصية عندما رصدوا بعض المظاهر التكرارية في النصوص باختلاف أنواعها: القرآنية والشعرية والنثرية. فقد كان التكرار والتضام من الوسائل التي تعمل على ترابط النص وسبكه

5- كشفت البلاغة العربية عن أنواع الروابط الصوتية التي تؤدي إلى توافر ما اصطلاح عليه المحدثون بـ(السبك الصوتي) بين العبارات، وعلى مستوى النص شعرا كان أم نثرا، فالوزن والقافية في الشعر، والسجع والجناس في النثر من الوسائل الصوتية التي تسهم في السبك الصوتي على مستوى النص الأدبي.

6- فطن النقاد والبلاغيون العرب إلى أهمية العلاقات الدلالية التي تربط بين وحدات النص الجزئية لتشكيل الوحدة النصية الكلية لأي نص. فقد أستعمل النقاد والبلاغيون العرب القدماء مصطلحات / مثل: القران، والتناسب والحسن التجاور، وانتظام المعاني. وهذه المصطلحات والمفاهيم تدل على إدراك ووعي لمفهوم مبدأ (الاستمرارية المعنوية) الذي يوفر صفة التماسك الدلالي بين أجزاء النص ليصبح وحدة كلية بحسب علماء لغة النص المحدثين.

7- إن الجهد الذي قدمه النقاد والبلاغيون القدماء لا يقل عن الجهد الذي يحاول علماء لغة النص المحدثون أن يقدموه في هذا الشأن، مع الاحتفاظ بحق السبق لنقادنا بما يربو على آلاف السنين.

وفي الختام.. هذا ما يسره الله لي، حاولت أن أمر فيه مروراً سريعاً على كثير من القضايا المتعلقة بعلم لغة النص لضيق الوقت أولاً، وخوفاً من التطويل الذي يدفع إلى الملل والسأم ثانياً، ولعل الإشكاليات كثيرة فيما يخص العرض والتنظيم والكم وغيرها، والتي قد تحتاج بدورها إلى دراسات وافية تركز عليها، وتسعى إلى إيجاد حلول جديدة.

#### الهوامش والتعليقات

1. علم اللغة والدراسات الأدبية – دراسة الأسلوب – البلاغة – علم اللغة النصي، ترجمة: محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1991م، ص184. و مدخل إلى علم اللغة النصي 21.
2. علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات: تون أ. فان دايك، ترجمة سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، ط 2، القاهرة، مصر، 2005م، ص 23.
3. بلاغة الخطاب وعلم النصّ 252 – 253
4. لسانيات النصّ النظرية والتطبيق: 50.
5. بلاغة الخطاب وعلم النصّ 325، وينظر: نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي 33،
6. مدخل إلى علم النصّ مشكلات بناء النصّ: زتسيسلاف واورزنيك، ترجمة: أ.د سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط2، القاهرة، 1431 هـ – 2010م، ص 62، و نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس النحوي 33، و مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقه 62.
7. حسان، تمام، اللغة العربية مبناها ومعناها. القاهرة. ص: 94
8. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ط 2، مصر: محمد رشيد رضا، ص
9. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ط 2، مصر: محمد رشيد رضا، ص: 403
10. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ط 2، مصر: محمد رشيد رضا، (2-5، 64-65، 259)
11. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ط 2، مصر: محمد رشيد رضا، ص: 301
12. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ط 2، مصر: محمد رشيد رضا، ص: 221، 241
13. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ط 2، مصر: محمد رشيد رضا، ص: 405
14. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ط 2، مصر: محمد رشيد رضا، ص: 320، 328
15. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ط 2، مصر: محمد رشيد رضا، ص: 227، 241
16. الكك، فكتور وعلي، أسعد. صناعة الكتابة، ط2. بيروت: دار الفجر، ص: 198
17. سلطاني، محمد علي، البلاغة العربية في تاريخها: دمشق: دار المأمون للتراث. 65
18. القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة. تونس: دار الكتب الشرقية. ص: 90
19. القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة. تونس: دار الكتب الشرقية. ص: 172
20. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ط 2، مصر: محمد رشيد رضا، ص: 126
21. ابن الاثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الوفي وبدوي طبانة، القاهرة: مكتبة نهضة مصر. 941-961
22. الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت: منشورات محمد الداية.

23. حسان، تمام، اللغة العربية مبناها ومعناها. القاهرة. ص: 20
24. الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي. دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ. ص: 145.
25. المرزباني، عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، الموشح، تحقيق محمد علي البجاوي، القاهرة، نهضة مصر 271-284
26. المرزباني، عبيد الله محمد بن عمران بن موسى، الموشح، تحقيق محمد علي البجاوي، القاهرة، نهضة مصر 499
27. عباس احسان. تاريخ النقد الادبي عند العرب ط 5، بيروت: دار الثقافة ص: 620
28. عباس احسان. تاريخ النقد الادبي عند العرب ط 5، بيروت: دار الثقافة ص: 620
- i. Beaugrand, Robert De & Dressler Wolfgang (1). Inroduction to Text Linguistics. London and NewYork; Lonman
29. العلوي، يحيى بن حمزة العلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار وعلوم حقائق الإعجاز، بيروت: دار الكتب العلمية. (ج 3: ص: 227-250)
30. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ط 2، مصر: محمد رشيد رضا، ص: 36-37
31. ابن رشيق، أبو علي الحسن. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ط 4، بيروت، دار الجيل (1: 211)
32. رضا. محمد رشيد. تفسير القرآن الحكيم، ط 4. مصر: دار المنار (12: 90)
33. رضا. محمد رشيد. تفسير القرآن الحكيم، ط 4. مصر: دار المنار (12: 101)